كوستا الشاعر الشركسي

شيء جديد في اللغة العربية

عندما دالت دولة القياصرة وحلت محلها بحكومة البلاشفة هاجر كثيرون من الروس من روسيا وضربوا في طول الدنيا وعرضها واستوطنوا عواصم اوربا وأميركا

كوستا الشاعر الشركسي

وغيرهما من البلاد وقد أظهروا في ديار الغربة نفسية الشعب الروسي السامية وما هو عليه ذلك الشعب من صفات الجد والنشاط والهمة القعساء والمدارك السامية وأصدر

كثيرون منهم الجرائد والمجلات يدافعون بها عن بلادهم ويصورون حكم البلاشفة للناس بصورته الحقيقية الشنيعة ذلك الحكم الذي قوض صرح مملكة كان لها المقام الاسمى بين دول أوربا واخترع منهم كثيرون في فرنسا وامبركا والمانيا اختراعات كان لها مقام عالٍ في رقيّ الفنون . وقد اجتمع في مدينة براغا فريق كبير من أدباء الشراكسة المهاجرين حيث أنشأوا جمعية أخذت على عاتقها الاهتمام بشؤون مواطنيهم وتعليم شبانهم واحداثهم في المدارس المختلفة وأصدروا مجلة علمية أدبية باللغة الروسية سموها « جبل القوقاس » بادارة أحمد افندي تساليكات تنشر آداب الشراكسة وتاريخ أبطالهم الذين دافعوا عن حقوق وحرية بلادهم على عهد القياصرة وترجمة شعرائهم وكتابهم ولما كان الشرقيون لا يعرفون شيئاً عن آداب الشراكسة رأينا أن ننقل عن تلك المجلة شيئاً من تاريخ وأشعار الشاعر الشركسي الكبير كوسنا الذي صدرنا هذا المقال برسمه

ولد كوسنا في قرية « نار » من القوقاس عام ١٨٦٣ وتوفي عام ١٩٠٦ ولما اشتد ساعده أخذ ينظم القصائد الرنانة يصف بها وطنه وما تقاسيه أمته تحت نير الاستعباد فأثار شعره الحماسة في النفوس وأخذ القوقاسيون يتناشدونه ويتغنون به الامر الذي وجه النقات حكومة القوقاس الروسية فاضطهدت الشاعر اضطهاداً شديداً وزجته في أعماق السجون مراراً حيث ذاق صنوف التنكيل والهوان وضروب الذل والوبال وحاولت كمّ فمه واخماد شعلة الوطنية المضطرمة في فؤاده

حاول هذا الشاعر تنبيه امته وحملها على تحرير بلادها من الحكم الاجنبي فكان ينظم قصائده المهيجة الوطنية والاغاني لتعليمها للاطفال حتى يغرس في نفوسهم منذ نعومة أظفارهم حب الوطن ومن ذلك أغنية نظمها للامهات ليغنينها للاطفال وهم في المهد وهذا مطلعها .

أقول لك حب وطنك
ولا تخنه ما دمت حياً
ودافع عنه ما استطعت الى ذلك سبيلا
فتخلد لك ذكراً مجيداً في تاريخه

ثم استطرد الكلام في هذه الاغنية وخاطب الشباب الناهض بقوله :

ياشبان الجبال الابطال لنضع أيدينا بعضها
كاخوة أصفياء نرفع العلم العالي
وباسم الشعب نسير الى النور
نسير صفوفا صفوفا والحق ينصرنا
فانهض أيها الكسول وقم ايها الجبان

وقال يناجي وطنه :

أيها الصديق : أيها الحبيب قل لي بأي أسم أدعوك
اني رسمتك على لوح صدري بأحرف من نور لا تمحى
يا أرض أجدادي الامجاد من بعيد اسمع أنينك المؤلم
ليسحقك الموت الزؤام اذا سمحت تقريباً أن يكون سيدك
فانهضوا أيها المواطنون وتضافروا واتحدوا جميعاً
وسيروا الى الجهاد واطردوا الغريب من البلاد

ولما كان منفيا عن وطنه قال :

ناس غرباء وأرض غريبة يشربون دمي نقطة فنقطة
الموت لا يخيفني في الغربة ولكن من يضع باقة زهر على قبري
وأين فتيات بلادي الحسان ينشدن مراثي الاحزان
وأين الشبان على ظهور الجياد يجرون أمام جنازتي
انني في حبك ياجبال بلادي تحملت الشقاء والاوصاب
واذا دفنوا جسمي تحت التراب فاني سأحرم دموعك الغزيرة
ولكن اذا سمعتم نبأ موتي فقولوا رحمة الله عليه
رحمة الله على شهيد الوطن الذي قضى بعيداً عن بلاده

ولما عاد من المنفى الى بلاده قال :

رقص فؤادي طربا وسروراً عند ما أشرفت على بلادي

واهتزت جوارحي وشعوري عندما نظرت من بعيد رؤوس الجبال
وخفق قلبي المنكسر حنيناً الى تلك الربوع العزيزة
تلك الربوع الفيحاء التي اظلتها الخطوب
تلك الربوع الغناء التي أحدقت بها الارزاء
ايه بلادي بلادي منبت العز والسداد
ومصدر المجد والرشاد ومنهل السؤدد والوفاء
ماذا تراني الاقي بعد النوى والبعاد
وهل ينتظرني فيك غير الشقا والتعاسة
اني أرى الموت حلواً في ظل صخر الجبال
وحيث ينعشني نسيم يهب من بين التلال
ايه بلادي بلادي اليك مني السلام
والله يعلم اني أحب دوما بلادي
بشرط أن يخفق فيها لواء رفيع ينادي
يابني الفوقاس سيروا الى حرية وصفاء

وكل شعره من هذا النوع وقد بذلنا المجهود في ترجمته حرفيا واننا نوجه اليه نظر صديقنا الكاتب الكبير حسين افندى شفيق المصري ذلك لان الشراكة أخواله ولعل الدم الشركسي يتحرك في عروقه فيصول ويجول في مضمار القريض وينظم أقوال أحد أبناء اخواله شعراً حماسياً يهز أوتار القلوب ويطرب النفوس ويشرح الصدور